مدير مرصد الحريات الصحفية في حديث لـ(المدى):

هدفنا الرئيس أن تلعب الصحافة دوراً في تطوير المجتمع

تصدّر البيان الصحفي الذي اصدره رصد الحريات الصحفية نشرات الاخبار وصدر الصفحات الاولى من الصحف التي افردت له حيزاً واسعاً لما انطوى عليه من ارقام دقيقة لعدد شهداء الصحافة الذين استهدفهم الارهاب.

وقبل البدء بالحوار نقول ان مرصد الحريات الصحفية من منظمات المجتمع المدني التي كفل لها العراق الجديد حرية العمل. وهي منظمة مستقلة تدعو الصحافة لتلعب دورا كبيراً في تطور المجتمع العراقي اذ للديمقراطية كما هو معروف جناحان: الحرية السياسية ثم الحرية الصحفية ، فالبلدان المتقدمة في كل المجالات هي في الحقيقة حصيلة لحرية الصحافة. (المدى) التقت مدير مرصد الحريات الصحفية زياد العجيلي وسألته:

بغداد/ علي حسين القيسي

❖ هل لك ان تعرفنا بالمرصد وفعالياته؟

العجيلي: ان مرصد الحريات الصحفية من منظمات المجتمع المدني تأسس عام ٢٠٠٤ بجهود ودعم وتمويل ذاتي:. اما اهم اهدافه فهو السعي لحصول الصحفي على كامل حريته في العمل أي ليس هناك خطوط حمر امامه. ثم نحن ندافع عن الصحفي المهني، ونسعى لأن تتوافر للصحفي كل الامور المهنية ولايخفى ان البلدان المتقدمة في كل المجالات هي في الحقيقة حصيلة لحرية الصحافة.... هدفنا الرئيس ان تلعب الصحافة دوراً كبيراً في تطور المجتمع العراقي. اذ للصحافة دور حيوي في معالجة الفساد الاداري والمالي، وبذلك يمكن ان نرفع عن كاهل الحكومة عبئاً كبيراً.

نحرص ان يتمكن الصحفي من الحصول على المعلومة. ففي الدول المتقدمة المسؤول الذي لايقدم المعلومات للصحفي على مدى ٤ ايام يعاقب ذلك المسؤول على تلكؤه، من هنا يمكن معالجة الفساد،لتكون الصحافة جهاز رقابة واعياً على المسؤول،لذلك نرى نسبة الفساد تكون معروفة في البلدان التي تتمتع الصحافة فيها بحرية العمل.. اعتقد سنصل الى هدفنا في السنوات المقبلة ان شاء الله لتكون الصحافة بيد صحفيين امينين..

❖ برأيكم ما هي اسباب نجاح المرصد؟

العجيلي: اعتقد ان التمويل الذاتي الذي جاء من جميع الزملاء هو سبب رئيسي في النجاح.

بالمناسبة لم يتلق المراصد اية مساعدة من اي جهة ولذلك هو ينأى بنفسه عن اية جهة الا جهة الحقيقة فقط. لقد بدأنا بأمكانات قليلة، لذا ليس لدينا مشاكل. والمرصد اكتسب ثقة الزملاء اولاً ثم ثقة وكالات الانباء العالمية والمنظمات الدولية المعنية. بحقوق الصحفيين وليس لدينا مصالح نفعية وشخصية.

❖ هل تقبلون الانتماء لمنظمتكم؟

العجيلي: لسنا منظمة نقابية او نفعية لكننا مجموعة من المتطوعين ولدينا شبكة واسعة تتكون من ٤٠ متطوعاً في كل محافظات البلاد لرصد انتهاكات حقوق الصحفيين.... وبالتالي عملنا يصب في خدمة الصحافة والحكومة. اذ لسنا جهة مناوئة لأحد بل نشاطاتنا تنبّه الحكومة الى مكان الخلل لمعالجته. اذ ليس من المعقول أن نحمل الحكومة مسؤولية انتهاكات شرطي بحق صحفي نتيجة جهله بقيمة الصحافة. الصحفي مساهم حقيقي في بناء الدولة وبالتالي ينبغي ان يحترم لأنه من السلطة الرابعة اعتقد اننا اخذنا نقترب من فهم المسؤولية.

❖ بيانات الرصد كيف تصل للمعنيين؟

العجيلي: الوكالات الدولية تأخذ على الارجح من وكالات عالمية وهذه الوكالات تعتمد على الرصد في اخبارها ومعلوماتها، ولدينا موقع مهم على شبكة الانترنت يزوره شهرياً اكثر من ١٠٠ الف زائر.. وهو ليس موقع تسلية اواخبار بل هو موقع مهني باللغة العربية فقط تصور كيف سيكون الحال لو استعملت اللغة الانكليزية او لغات اخرى؟

فضلاً عن الصحف المحلية التي تتابع موقعنا وتساهم معنا في نشر بياناتنا التي هي لشهداء الصحافة.

❖ بعد هذا النجاح هل في النية تطوير الرصد؟

العجيلي: نعم بدأنا خطوات عملية لتطوير الرصد. ونطمح ان يكون عملنا إقليمياً، فقد اعجبت نشاطات الرصد الكثير من المؤسسات والجهات الاعلامية في العالم العربي واتصلوا بنا داعمين المشروع ولكن مساحة الحرية الضيقة في الدول العربية لاتسمح لمثل هذا العمل بالنجاح، وفي داخل العراق هناك من يدعم جهودنا من مسؤولين وصحفيين واعلاميين واحب ان اذكر لك ان بعض المسؤولين طلبوا الانتماء لنا متطوعين مثل النائبة مريم الريس وهذا مكسب كبير لنا.. وفي ميدان تطوير العمل ايضاً نسعى الى اصدار نشرة تتضمن الانتهاكات فضلاً عن الايجابيات ايضاً ففي العراق الآن الكثير من المزايا التي لاتتوافر للصحفيين في الدول العربية، وسيكون يوم ٣/٥ موعد اصدارها الذي يصادف اليوم العالمي لحرية الصحافة.

❖ هل للمرصد تنسيق مع جهات اعلامية اخرى مثل نقابة الصحفيين؟

العجيلي: للاسف ليس لدينا تنسيق مع نقابة الصحفيين لان النقابة لاتهتم الا بمن يعمل تحت خيمتها. ولكنني زودت النقابة بأسماء الشهداء الصحفيين. لكنهم لم يتعاونوا معنا، اذ ان النقابة حتى هذه اللحظة تظن نفسها انها المرجعية الوحيدة، وهي تنسى ان المجتمع الجديد مجتمع منظمات مدنية واي صحفي يحس بأنه صحفي مؤهل اصبح الطريق امامه مفتوحاً لكل العالم وليس هناك شرط الانتماء للنقابة التي هي من مخلفات عصر مضى الى غير رجعة ويبدو ان النقابة لم تهضم هذا حتى الآن وهذا شيء مؤسف.

❖ من اين تستقون اخبار الانتهاكات التي انتم معنيون بها؟

العجيلي: كل صحفي يتعرض الى الانتهاكات والتهديدات يتصل بنا. ليجدنا اخوة له. ولكننا نفحص الخبر ونتأكد منه قبل نشره اذ الدقة في عملنا موجودة وضرورية. الكثير من الصحفيين للاسف يسعون للحصول على مكتسبات شخصية حين ننشر عنهم، لذا نفضل العمل بتريث وبعد أن يتم التحقق.. وبالتالي لسنا وكالة انباء حتى نتسرع في نشر الخبر ومهمتنا الاولى هي التوثيق.

❖ ما الذي يسعى اليه المركز الآن؟

العجيلي: من المفترض بنا الآن كصحفيين ان نعد انفسنا للمشاركة في مسودة قانون الصحافة في العراق اذ هذه المسودة هي التي تؤسس للعمل الصحفي فأذا كانت جيدة يكون العمل الصحفي مستقبلاً جيداً وان كان العكس يكون العمل فاشلاً.. واقصد هنا ان لانتهاون ابداً في شيء على حساب قانون العمل الصحفي الذي يجب ان يتفوق على قانون الصحافة الامريكي والسويدي لأن هذه القوانين كتبت قبل عشرات السنين فمن المعيب ان نكتب قانوناً فيه عيوب.

اذا كتبنا قانوناً جيداً سنضمن مجتمعاً جيداً وناجحاً في شؤونه كلها.

زوّدنا نقابة الصحفيين بأسماء الشهداء لكنها لم تكترث إلا بمن يعمل تحت خيمتها

مخافة أن يطول التشويه أبنية تراثية أخرى تحت لافتة الإعمار

بناية سوق العمارة الكبير بين طمس المعالم التراثية وتشويه التصاميم

ميسان/ رعد شاكر

يشكل التراث المعماري حلقة أساسية ومهمة في سلسلة المنظومة التراثية للشعوب لما يتوفر عليه من مفردات وتفاصيل بنائية مميزة تؤرخ لمراحل التطور العمراني والحضاري لمجتمع ما. وتشخص الأبنية التراثية كشواهد مادية حية تجسد العلاقة الوطيدة بين الإنسان والبناء وتدرج الأداء الوظيفي للعمارة التراثية من المنفعة المادية البحتة إلى تأسيس علائق روحية بينها وبين الكائن البشري، تتنامى وتتأصل بفعل التراكم الزمني لترتقي لاحقا إلى علاقة نفعية مادية وعاطفية في آن معا، يواصل الزمن نسج خيوطها لينتج لوحة مفعمة بالحيوية والنشاط والحراك الجمالي يشكل البناء المادي (لحمتها) وفعاليات المجتمع البشري (سداتها). وللحفاظ على التراث المعماري، تناط مسؤوليات صيانته وترميمه ورعايته بالمؤسسات المعنية وملاكاتها العلمية المتخصصة والمتمرسة في هذا المضمار. وتختلف سياقات العمل المتبعة وفقا لطبيعة البناء وطرازه الهندسي ومواد البناء وحالته العمرانية وما إلى ذلك. فقد يكون المنشأ خربا إلى الحد الذي يتوجب هدمه لإعادة بنائه من جديد، وفي حالات أخرى يكون فيها البناء متصدعا فاقداً بعض الأجزاء والتفاصيل التي تستدعي تضافر جهود ومهارات الكوادر الأكاديمية والفنية لتشييد ما أنهدم من البناء وترميم المتآكل منه. أما حين يكون البناء سليما بصورة عامة عدا بعض الشروخ والانــدثارات الجزئية البسيطة فإن المعالجة لا تتطلب إلا أعمالا ومهارات يسيرة ومواصلة الصيانة بشكل دوري للحفاظ على هكذا أبنية من عوامل الزمن وآثاره.

وإذ يكون البناء منهارا قد ضاعت جل تفاصيله واندثرت ملامحه ما يدفع من يتصدى لإحيائه إلى الاستعانة بما يتوفر له من معلومات لإعادة رسم المخططات الافتراضية التي سيتشكل البناء وفقها لاحقا والذي قد يأتي مقاربا أو بعيدا عن الشكل الأصلي تبعا لصحة ودقة تلك المعلومات ومدى تكاملها، عندئذ حين يلام من أخفق في العمل وجانب الصواب فسيشفع له انه اجتهد على ضوء ما توفر له من بيانات وهي كما نعلم شحيحة - بشأن هكذا أبنية - معظم الأحيان.أما حين يكون البناء سليما نوعا ما واضح المعالم ولا يتطلب ترميمه إلا القليل من الخبرة والمهارة مع توفر المواد الملائمة والمطابقة للخامات الأصلية للبناء ثم يعمد القائمون على العمل إلى التعدي على ملامح البناء وتشويه سماته التراثية عبر إزالة بعض التفاصيل المعمارية أو تحويرها واستحداث ما لم يكن ضمن التصميم الأساس للبناء، مستندين بذلك لاجتهادات فردية قائمة على الذائقة الشخصية مبررين ذلك بذرائع واهية ك (عصرنة التراث) فتلك إساءة بالغة،لا بحق البناء التراثي حسب، بل وبحق الذائقة الجمعية للتراث ولن يشفع لهم حينها حسن نواياهم.

توصيف موجز لعمارة السوق

سقنا هذا الإيجاز المكثف لنتفحص على ضوئه ما جرى من تعد سافر على بناء تراثي جميل إلا وهو سوق العمارة الكبير الكائن في مركز مدينة العمارة في محافظة ميسان والذي شيد نحو منتصف القرن التاسع عشر الميلادي (بحسب مؤرخي المدينة ووثائق مفتشية آثار ميسان) والذي ما زال يؤدي وظيفته الأساسية كسوق تجاري يؤشر ازدحامه الشديد طوال اليوم تميزه كعصب رئيس لمجمل الفعاليات التجارية للمدينة وضواحيها ومفصلا حيويا من مفاصل التواصل الاجتماعي لسكانها.

قد تبدو بناية السوق عمارة نمطية متواضعة تفتقر لتنوع عناصر الزخرفة البنائية والمعمارية، ولكن روعتها تكمن في بساطة التصميم وتناغم المفردات الهندسية التي منحتها طابعا متناسقا يوحي بالتوازن المعماري والمهابة ويبرز بوضوح الطراز الإسلامي الشرقي في فن البناء.

يشغل السوق مسافة تمتد من شارع دجلة المحاذي لنهر دجلة وينتهي عند نقطة التقاء ثلاثة أسواق هي سوق الصاغة القديم (سوق العرب سابقا) وسوق الدجاج و سوق الفافون. وتتفرع من السوق وعلى مسافات متباينة بضعة مسالك ضيقة تربطه بالحارات السكنية الموازية له.وتتكون عمارة السوق من صفين متقابلين من الدكاكين الصغيرة بواجهاتها المقوسة التي تشكل سلسلة منتظمة من الأقواس البنائية يستقر فوقها السقف المقوس المشيد بطريقة العقادة بالآجر مع وجود كوى صغيرة في ذرى قباب السقف للإنارة الطبيعية والتهوية، أما الخانات التي كانت تستخدم سابقا نزلا للتجار الوافدين من خارج المدينة ومخازن للبضائع فقد تحول بعضها إلى محال تجارية ضمن السوق فيما بقي البعض الآخر يؤدي وظيفته السابقة كمخازن للبضائع والسلع وتستغل ساحاتها كمرائب لعربات الحمالين.

تأريخ مثقل بالحوادث وصيانة يتيمة

تعرضت بناية السوق على مدى السنين لحوادث متنوعة خلفت أضرارا عديدة فيها، نتيجة جملة عوامل منها تقادم البناء وإهمال المؤسسات المعنية صيانة هذا الصرح التراثي لعقود متعاقبة ما أدى لانهيار جزء السقف العابر فوق شارع التربية وحدوث شروخ وتصدعات في عدد من قباب السقف المتبقية فيما تسبب الحريق الكبير الذي شب داخل السوق أوائل سبعينيات القرن الماضي بأضرار فادحة واقتصرت أعمال الترميم التي قام بها أصحاب المحال على معالجة الجدران الداخلية لمحالهم.

أما أول صيانة عامة لبناية السوق فقد نفذت من قبل الهيئة العامة للآثار والتراث عام ١٩٨٩ وفق الأسس العلمية ولكن أعمالها اقتصرت على ما تبقى من السقف الرئيس للسوق وواجهات المحال الكائنة تحته وتم تنفيذ العمل بأسلوب روعي فيه الحفاظ على شكل البناء وتفاصيله المعمارية، حيث عولجت جدران واجهات المحال بطريقة التكسية بالآجر تناغما مع الشكل الأصلي للبناء ومعالجة السقف من الداخل بعملية الدرز وصيانة سطوح القباب وجدرانها الخارجية بمادة الأسمنت وشملت أعمال الصيانة أيضا تركيب أنابيب فولاذية لتصريف مياه الأمطار عن السطوح ورصف أرضية السوق بـ(الشتايكر).

الترميم الارتجالي إساءة للتراث

وبقي السوق على حاله لغاية عام ٢٠٠٤ حيث تعرضت بناية السوق لأسوأ عملية ترميم تحت لافتة (إعمار السوق الكبير) ودون استشارة دائرة الآثار والتراث أو مفتشيتها في ميسان، فافتقرت أعمال الترميم لأدنى درجة من مفاهيم التعامل مع هكذا أبنية، وتمخض الاجتهاد الخاطئ المبني على الذائقة الشخصية عن تشويه الطابع التراثي لعمارة السوق. ومن حسن الحظ أن تلك الأعمال لم تطل عقادة السقف المميزة واقتصرت على الجدران الداخلية وواجهات المحال، حيث جرى التعامل مع القسم الأول منها والممتدة من مدخل السوق إلى نقطة تقاطعه مع شارع التربية بشكل مغاير للأعمال التي نفذت في القسم الثاني منه.

فبدءا تم استحداث بوابة في مدخل السوق تتكون من عمودين اسطوانيين من الخرسانة المسلحة المغلفة بألواح السيراميك تحملان جداراً بفتحة مقوسة تشابه تقوس عقادة سقف السوق ومغلفاً ببلاط السيراميك المزخرف، وهذه البوابة بمجملها أدنى ارتفاعا من واجهة السوق، وقد بدت ككائن غريب ثقيل الظل يشخص في مدخل السوق بلا مبرر ودون أن يضيف أية ميزة جمالية له.

أما الأعمال المنفذة في القسم الأول من السوق فتضمنت إكساء واجهات المحال بألواح الحجر الأبيض المغبر اللون والمسمى تجاريا بـ(السينو) بعد أن تم إخفاء الأقواس البنائية لمداخل المحال خلف ستارة مستحدثة مستوية الشكل غلفت ببلاط السيراميك بلون جوزي داكن، مع تشكيل زخرفة بنائية فوقها باستخدام ألواح حجر التكسية على شكل ضلعي مثلث متدرجين من الداخل للأعلى، لتتولد نتيجة هذه الفذلكة التصميمية واجهات متفيهقة لا تمت لجنس عمارة السوق التراثية بأية صلة وتتنافر بشكل صارخ مع أشكال نوافذ التهوية المقوسة الكائنة أعلاها كذلك مع أقواس عقادة السقف، فيما عولجت بعض واجهات المحال ضمن هذا القسم من السوق بشكل مختلف بالاقتصار على استخدام السيراميك في أعمال التكسية.

أما محال القسم الثاني من السوق والممتد من بداية تقاطعه مع شارع التربية فشملت الأعمال واجهات المحال الواقعة تحت ما تبقى من سقف السوق حيث أكتفي بإكساء هذه الواجهات بالسيراميك فقط مع الإبقاء على الشكل الأصلي لأقواس مداخل المحال، وبهذا أنشطر مشهد بناية السوق من الداخل وأصبح طراز واجهات القسم الأول منه مغايرا لطراز القسم الثاني لا رابط بينهما إلا عقادة السقف الذي سلم من مخالب هذا (الترميم) ليلمح إلى انتساب القسمين لذات البناية.

وللإنصاف نقر ونشيد بالأعمال التكميلية التي لاغبار عليها كطلاء أبواب المحال وما تبقى من شبابيك النوافذ العليا كذلك رصف أرضية السوق بالكاشي(وكان من الأفضل استعمال الطابوق ألفرشي) وتركيب مصابيح الإنارة الكهربائية.

تلك هي مجمل الفعاليات التي اشتملت عليها أعمال الترميم والصيانة لبناية سوق العمارة الكبير، استعرضناها لنبين الأذى الذي ألحقته بهذا الشاخص التراثي البديع،حيث طمست معالم الواجهات الأصلية تحت أشكال مستحدثة تنافرت تصميما ومواد مع الطابع التراثي لعمارة البناء وغيبت ملامح الكساء الآجري (الذي كان متناسقا ومتناغما مع طراز عقادة السقف في مشهد متآلف ودافئ) تحت بريق لمعان السيراميك وبرودة ألواح الحجر، وهي مواد غريبة ودخيلة على بنية هذه العمارة التراثية. ليتحول ذلك التناغم المعماري الهادئ الذي ميز البناء القديم إلى حوار صاخب ومزعج بين القديم والجديد وتصبح عمارة السوق عبارة عن مزيج متخبط من المواد والأشكال والألوان أفرز طابعا كريها لمنظر البناية من الداخل وأساء لجوهرها التراثي.

كلمة أخيرة

إن الغاية من صيانة وترميم البناء التراثي هو الحفاظ عليه وتحفيز الملامح الجمالية الكامنة في مفرداته المعمارية فمن الخطأ أن يتصدى لهكذا أعمال من يفتقر إلى الخبرات اللازمة ودون إشراف الجهات المختصة، فأساليب العمل المرتجلة والاجتهادات الفردية غير المستندة إلى الذائقة التراثية المثقفة أكاديميا، ستؤدي حتما إلى نتائج وخيمة تكون حصيلتها النهائية لا تخريب الصفة التراثية للبناء وتشويهه حسب، بل وتتعداها إلى إيذاء الذائقة الجمعية لهذا المعمار التراثي. ومن المؤسف حقا أن تقف دائرة الآثار والتراث ومفتشيتها الفرعية في ميسان وهي صاحبة الشأن، جانبا ملتزمة الصمت ومكتفية بالتفرج على ما جرى وكأن الأمر لا يعنيها من قريب.

ختاماً فإن ما دفعنا للتصدي لهذا الموضوع، تلمسنا استهجان النخب المثقفة وقطاع واسع من الجمهور لما حدث لبناية السوق، ومخافة أن يطول التشويه أبنية تراثية أخرى (على قلتها في المدينة) تحت لافتة الإعمار إياها. علما أن عقادة سقف سوق العمارة بدأت تتصدع في مواضع عديدة وقد تتساقط قطع منها في أية لحظة وتسبب حوادث مؤسفة للسابلة الذين يزدحم بهم السوق معظم الوقت.يحدونا الأمل بعد أن قرعنا الجرس أن تتنبه الجهات المعنية لتمارس مسؤولياتها الكاملة في الحفاظ على تراثنا المعماري وتوليه ما يستحق من رعاية واهتمام.

لقطات لسوق العمارة الكبير